التحضير الأول:التصور الإسلامي عن الإنسان وتطبيقاته التربوية

اهتم الدين الإسلامي بتبصير الإنسان بنفسه إذ هو المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الحياة بكل مافيها، ومعرفته بخلقه وفطرته وموقعه من الكون الذي يعيش فيه، وصلته بالمخلوقات من حوله يجعله يفهم خطاب الشارع في عقائده وشرائعه، ويرى الأمور في إطارها الصحيح فلاينقلب إلى صورة أقرب إلى البهيمية منها إلى الإنسانية. وقد ذكر رجب(١٤١٦هـ) ماعرف به الراغب الأصفهاني مفهوم الإنسان بأنه:"له مفهوم عام ومفهوم خاص ،فالإنسان بالمعنى العام هو كل منتصب القامة مختص بقوة الفكرة واستفادة العلم، وأما بالمعنى الخاص فهو كل من عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه"(ص ٢٨٧).

والمصدر في معرفة التصور الإسلامي عن الإنسان يستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، والسلف الصالح من علماء المسلمين والمربين.

ولبيان ذلك التصور سنتحدث عنه من خلال ثلاثة عناصر، وهي أصل الإنسان وطبيعته ومصيره.

❖ **أصل الإنسان:**

لفهم أصل الإنسان والتصور الصحيح لذلك نعود إلى قصة آدم عليه السلام أبو البشر والذي تكررت قصة في القرآن الكريم كثيرا لترسم الصورة الصحيحة للإنسان عن أصله.وقد تقررت حقائق حول ذلك والتي من أهمها أن الإنسان خلق بقرار من الله عزوجل أعلن في الملأ الأعلى، وهذا يرد على من ينسب الوجود الإنساني إلى الصدفة أو الطبيعة أو التطور.خلق في صورة مبدعة ليس لها مثيل من قبضة من طين قبضها الله عز وجل من جميع الأرض؛ فتكون الإنسان بخلاياه وأعضائه وجسمه ثم نفخ فيه الروح ،خلق وفي الأرض مستقره ومتاعه ،ومعه مهمته في خلافة الأرض؛ ولذلك مهدت له الأرض وسخرت له مخلوقاتها، وفي خلافته قرار آخر يؤذن بموته وفناءه لتعقبه أجيال بعد أجيال، وسيفنى نوعه كله لتبدأ حياته في الاخرة.

وعند التأمل في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{٣٠} وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ{٣١} قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ{٣٣} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ{٣٤} وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ{٣٥} فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ{٣٦} فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ{٣٧}

تتجلى في هذه الآيات صورة عظيمة في خلق الإنسان في أصله ،فقد عبرت الملائكة عن حقيقة جلية للإنسان إن ترك بغير هداية بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فهو بحاجة إلى وحي من ربه يسير على صراطه وكان هذا بالنبوة والرسالات السماوية.وهو مخلوق عاقل من خلال عقله يدرك ماسينفعه ومايضره، وناطق بلغة يستطيع التعبير بها عن تفكيره ومشاعره ، ومنذ خلقه الله عزوجل اقترنت به ثلاث صفات، صفة الإرادة فلولا قدرته على أن يفعل او لايفعل لما أمر بترك الأكل من الشجرة، وترتب على إرادته مسئوليته عن سلوكه وتصرفاته ومحاسبته عليها في الدنيا والآخرةوبذلك يكون واعيا بسلوكه ومدركا له،وصفة الزوجية فالعلاقة بين آدم وحواء علاقة زوجية،وصفة النبوة فهو أول إنسان يوحى إليه من ربه.

أسكن آدم عليه السلام الجنة وفي سكناه دلالة عظيمة للتصور الإسلامي أن الجنة مسكن لكل إنسان يولد ما لم يمنعه ذلك مايقترفه من ذنوب وآثام إذ هو في أصل خلقته طاهر مولود على الفطرة، والفطرة خيرة محمودة،وهو مكلف مسئول في سن التكليف عليه الحفاظ على مكانه في الجنة وحق دخولها بطاعة الله عزوجل وتحقيق عبوديته ،وهو يمر في كل يوم من حياته بتجربة آدم عليه السلام فعندما يرتكب معصية يبتعد عن الجنة، وعندما يعود لربه ويتوب يستعيد مكانه منها وهكذا حتى يلقى الله عزوجل.

أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض ومعه صفات الإنسانية الكاملة، وفي ذلك دلالة حقيقة على بدء مسيرة الإنسان في عمارة الأرض بالعلم والقيام بالخلافة فيها ثم تتبعه ذريته من بعده.

❖ **طبيعةالإنسان:**

الإنسان في التصور الإسلامي في طبيعته له ثلاثة أبعاد بمثابة مثلث متساوي الأضلاع ،وأضلاعه هي الجسم والروح والعقل،وبقدر مايحدث بينها من توافق وانسجام تتكامل شخصية الإنسان،ويحصل تقدمه وسعادته.

فالجسم سبق في تكوينه نفخ الروح لأنه المحل الذي ستسكنه وتتعلق به وهذا الجسم لايشبهه جسم آخر في تكوينه وتركيبته،وله مطالب وحاجات، وفيه ميل للإفراط وتجاوز الحد سعيا وراء المحافظة على بقاء الإنسان واستمرار وجوده.وهنا يأتي دور الروح التي وصفت في القرآن الكريم والسنة أنها تنفخ في الجسد وتمسك وترسل وتخرج وترجع وتقبض وتصعد ،وهي تمثل ارتباط الإنسان بربه وخالقه ممايعطي الإنسان قيمته كإنسان وهي مستقلة عن الجسد، ومحور حياة الروح للإنسان القلب فإذا قام القلب بوظيفته الروحية في معرفة الله عزوجل وعبادته تستقيم حياة الإنسان، ويأتي سلوكه موافقا لقلبه فيحيا حياة طيبة مطمئنة في الدنيا وينجو في الآخرة.أما إذا مرض القلب فإنه يعيش حياة ضنكا وإن كان له في الدنيا من متاع ونعم و في الآخرة من الخاسرين.

وهنا يأتي دور البعد الثالث وهو العقل مناط التكليف في اختيار الإنسان لطريقه، فمن خلاله يفهم خطاب الله عز وجل له، ويعمر الأرض بالعلم النافع، ويتواصل مع غيره فينتج الثقافة التي يورثها للأجيال من بعده وماتنطوي عليه من قيم ومعايير تحكم سلوكه، إذ أن فقد تلك القيم والمعايير يجعل الإنسان من الصعب عليه أن يتصرفا تصرفا سليما داخل مجتمعه.حيث أنه مجبول على العيش مع بني جنسه ،إليهم يسكن وبهم يأمن ومعهم يستقر وهو في بحث دائم مستمر للتعرف عليهم، فسلوكه متأثر بهم وهم متأثرون به، ومن خلال تفاعله معهم تحدد أدواره في مجتمعه وتنشأ تقاليده وأعرافه التي تحدد سلوكه المقبول والمرفوض منه.وهو في جميع جوانب شخصيته نتاج للوراثة والبيئة وتفاعلهما،وله دوافع وميول تتفاعل مع بيئته والمحيطين والثقافة التي يعيشها،وإن تشابه مع غيره في خصائص معينة فهو يختلف في كثير من صفاته الموروثة والمكتسبة لاختلاف بيئته والعوامل الوراثية، فيختلف في سماته وصفاته الجسمية واستعداداته وقدراته وميوله واتجاهاته ودوافعه وأهدافه والطريقة التي يسير فيها لتحقيقها، فهو شخصية مستقلة متميزة عن غيرها ومع ذلك طبيعته مرنة قابلة للتشكيل بأشكال مختلفة، وقابلة للتغير والتعديل ولاكتساب المعارف والعادات والقيم والاتجاهات الجديدة من خلال تفاعله الاجتماعي مع ثقافته وبيئته.

❖ **مصير الإنسان:**

الإنسان له حياة واحدة بثلاث مراحل ، فمرحلته الأولى الحياة الدنيا وفي هذه المرحلة تكون الخلافة والأمانة والعبادة والإنسان فيها في ابتلاء واختبار وعلى مدى التزامه بعبودية الله تعالى عزوجل وهي متاع مؤقت ليس له أن يجعلها هدفا وغاية له فيغتر بها وينسى الهدف الذي خلق من أجله.

مرحلته الثانية حياة البرزخ والتي تبدأ من موته وقد فصل القرآن والسنة ذلك من لحظة خروج الروح إلى أن تعود إلى الجسد مرة أخرى عند البعث،والمرحلة الثالثة حياة الآخرة وفيها يخلد الإنسان إما إلى جنةأو نار ويحاسب الله فيها الإنسان على مااستخلفه عليه ويجازيه على أعماله،ولهذا العالم نظام مختلف وحياة أبدية لاموت بعدها ، فالموت فاصل بين الدنيا وحياة القبر والبعث فاصل بين القبر وحياة الآخرة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"وإذا تأمل الإنسان حاله من مبدأ كونه نطفة إلى حين كماله واستوائه تبين له أن من عني به هذه العناية ونقله في هذه الأحوال،وصرفه في هذه الأطوار لايليقبه أن يهمله ويتركه سدى،لايأمره ولاينهاه ولايعرفه حقوقه عليه،ولايثيبه ولايعاقبه،ولو تأمل العبد حق التأمل لكان كل مايبصره ومالايبصره دليلا على التوحيد والنبوة والمعاد،وأن القرآن كلامه، وأن الإنسان دليل على وجود خالقه وتوحيده،وصدق رسله،وإثبات صفات كماله"(ص٣٩-ص٤٠).

ثانيا: التطبيقات التربوية للتصور الإسلامي عن الإنسان

التربية بمدلولها الواسع وبمؤسساتها المختلفة تتحمل مسئولية تربية الإنسان،فالإنسان ركن أساسي في أية عملية تربوية بحيث لاتتم هذه العملية ولايتحقق هدفها بدونه إذ التربية في أبسط معانيها كما عرفها الشيباني(١٩٨٦م)بأنها: "ذلك الجهد الذي يبذل في سبيل مساعدة الكائن البشري على كشف وتفتيح وتنمية استعداداته ومواهبه وميوله وقدراته وتوجيهه والأخذ بيده إلى مافيه خيره وخير مجتمعه وإحداث التغيرات المرغوبة اجتماعيا وروحيا في سلوكه وإعداده للحياة الإجتماعية الناجحة".(ص ٧١). و معرفة التصور الإسلامي عن الإنسان لهو بمثابة تحديد اتجاه المسار، وتوحيد الغاية المراد الوصول إليها في سبيل تكوين بصيرتنا التربوية وتقويم تربيتنا وتطويرها والرقي بها، وهوالخطوة التي يجب أن يكون منها المنطلق.فالانطلاق من الرؤية الواضحة والدقيقة السليمة عن الإنسان وحقيقة وجوده هو الذي سيوحد الجهود التربوية ويحسم النزاع بينها ويضيق فجوة الخلاف حول قضاياها، فتتحدد فلسفتها وأهدافها ومناهجها وأساليبها المختلفة وفق هذا التصور في المجالات المختلفة كالتخطيط أو التدريس أو التوجيه أو التقويم أو الإدارة ونحوها.ومن أهم تلك التطبيقات التي تعكس ذلك التصور:

-تأكيد العبودية لله عزوجل من خلال اتباع المنهج القويم الصحيح،و القيام بالعبادات المختلفة مع استشعار دورها التربوي في تهذيب النفس والسمو بها.

-فهم السلوك الإنساني وتفسيره في ضوء طبيعة الإنسان وأبعاده الثلاثة روحه وجسده وعقله، فكل نشاط يقوم به قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله عزوجل. وضرورة معالجة انحرافاته وفق هذا التصور .

-تحمل الأسرة بكونها المؤسسة التربوية الأولى لمسئولية الحفاظ على سلامة فطرته وتدريبه على تحقيق التوازن بين إشباع حاجاته المادية والروحية، من خلال تعويده على ممارسة العبادات والطاعات منذ الصغر.

-انطلاق المدرسة بصفتها المؤسسة التربوية الثانية بمناهجها وبيئتها وأنشطتها وفق التصور الإسلامي للإنسان، وقابليته للتعلم وتشكيل قيمه واتجاهاته، والتعامل معه كشخصية مستقلة تختلف في استعداداتها وقدراتها عن غيرها وتتأثر بعوامل وراثية وبيئية مختلفة تحكم سلوكها، وبهذا يتحقق مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

-الإنسان مخير ومسئول عن اختياراته وسلوكه، والمحافظة على نقاء فطرته وسلامة قلبه وتزكية نفسه، فيضبط نفسه بخشيته لله عزوجل وتقواه ومراقبته له في كل قول وفعل.

-محاولة إحداث التكيف له مع من حوله، وتعديل سلوكه نحو القيم والمبادئ المستمدة من دينه ومجتمعه،و توفير العدالة الاجتماعية له، ومنع الظلم عنه بكافة صوره وأشكاله وألوانه إذ أنه مخلوق مكرم.

-إصلاح التعليم بإعادة صياغة أهدافه ومناهجه وأنماط إدارته وفق قيم التصور الإسلامي عن الإنسان كقيم التوحيد و قيم الأخلاق و قيم الاستخلاف والتسخير والانتفاع بالبيئة،وقيم المجتمع المسلم.

-من خلافة الإنسان على الأرض ومهمته وتسخير المخلوقات له يكون استثمار التربية لطاقاته وتميزه وإبداعه،ورغبته في العلم، فلايكون مستهلكا للمعرفة بل منتجا لها من خلاله فكره وعمله المستمر للقيام بمهمته الموكلة إليه وتأديته للأمانة المنوطة به.

-يقين الإنسان بوجود الحياة الآخروية، وأنها دار الخلود في الجنة يساعده في فهم آماله وآلامه، ومعرفة أسباب سعادته وشقاوته ،ويخفف عنه مايقتحمه من مشاعر القلق واليأس، فيشعر بتفاهة الحياة الدنيا فلاينغمس فيها ولايجعلها هدفا له، بل يعيش فيها بين الصبر والشكر حتى يرجع لربه.

المراجع

-القرآن الكريم

-توفيق،محمد عز الدين(١٤٢٣هـ). **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي**.ط٢القاهرة:دار السلام.

-رجب، إبراهيم عبدالرحمن(١٤١٦هـ).**التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية المفهوم المنهج المداخل التطبيقات**.الرياض:عالم الكتب رجب عالم الكتب الرياض

-الشيباني،عمر التومي(١٩٨٦م) **فلسفة التربية الإسلامية**. ط٦ ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع.

-الصبيح، عبدالله بن ناصر(١٤٢٠هـ).**تمهيد في التأصيل: رؤية في التأصيل الإسلامي لعلم النفس**. الرياض:دارإشبيليا.

-العسال،أحمد محمد(١٣٩٥هـ).**الإسلام وبناء المجتمع**.الكويت:دارالقلم.

-علي،سعيد إسماعيل وآخرون(١٤٢٨هـ).**التربية الإسلامية: المفهوم والتطبيقات**.ط٣ الرياض:الرشد.

-ابن القيم،محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ،ط ١٤١٨هـ).**الجواب الكافي لمن سأل عن الداء الشافي**. بيروت:ابن حزم.